

وعقلية : تخاطب العقل ، وتعتمد على الفكر ، كمعجزة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .

وتنقسم كذلك إلى : دائمة : كالقرآن الكريم ، .. وغير دائمة : كمعجزات سائر الرسل .

* * كما أحب كذلك أن أضيف إلى ما وقفت عليه .. بعض القراءات التي وقفتُ عليها ^(١) حول :

الفرق بين المعجزة والكرامة والسحر

وإذا كنا قد عرفنا عن المعجزة ما فيه الكفاية

* * فإن الكرامة بالإضافة إلى ما عرفته عنها قبل ذلك كذلك : أمر خارق للعادة يظهره الله على يد عبده الصالح ، غير مقترن بالتحدى ، ولا بدعوى الرسالة ، كولادة مريم ليعسى من غير أب ، وإمداد الله لها بما اشتتهت من الرزق من غير سعى .. قال تعالى :

(١) فى البحوث الدينية .. بتصرف .

* ﴿.. كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا
 قَالَ يَمَتَرِمُ أَنِّي لِلَّهِ هَذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ
 بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (١)

* وما يروى من أن (سارية) قائد جيوش المسلمين فى فارس
 سمع صوت أمير المؤمنين (عمر) حين ناداه وهو بالمدينة قائلاً :
 (ياسارية الجبل) ، مريداً أن ينحاز بجيوشه إلى ناحية خاصة ، وأنه
 انحاز لها فكان فى ذلك انتصاره ، وانهزام أعدائه من المشركين ..
 ورجع سارية فأخبر عمر والصحابه بما سمع من صوت عمر رضى
 الله عنه وعنهم أجمعين .

* ومن ذلك ما روى أن الملائكة كانت تسلم على عمران بن
 حصين ، رضى الله عنه .

* وأن سلمان الفارسى وأبا الدرداء - رضى الله عنهما - كانا
 يأكلان فى صحفة فسبحت الصحفة أو الطعام فيها .

* وأن خُبَيْباً - رضى الله عنه - كان أسيراً عند المشركين
 بمكة فكان يُؤْتَى بعنب يأكله ، وليس بمكة من عنب .

(١) آل عمران - من الآية : ٣٧ .

* وأن البراء بن عازب - رضى الله عنه - كان إذا أقسم على الله فى شىء استجاب الله له ، حتى كان يوم القادسية أقسم على الله أن يمكن المسلمين من رقاب المشركين ، وأن يكون أول شهيد فى المعركة فكان كما طلب .

* وأن العلاء بن الحضرمي - رضى الله عنه - كان يقول فى دعائه : يا عليم يا حكيم ، يا على يا عظيم ، فيستجاب له ، حتى إنه خاض البحر بسرية معه فلم تبطل سروج خيولهم .

* وأن الحسن البصري - رحمه الله - دعا الله على رجل كان يؤذيه ، فخر ميتاً فى الحال .

* وأن رجلاً من النخع كان له حمار فمات فى طريق سفره ، فتوضأ وصلى ركعتين ، ودعا الله عز وجل فأحيا له حماره ، وحمل عليه متاعه .. إلى غير ذلك من الكرامات التى لاتعد ولا تحصى ... والتى نسأل الله تعالى أن يجعلنا أهلاً لها ..
آمين

* * وأما السحر ، فيُطْلَق فى اللسان العربى على كل ما لطف مأخذه ، ودق وخفى ، سواء أكان حلالاً أم حراماً ، وفى الحديث :

« إن من البيان لسحراً » ولكن المراد به هنا : كل تخيل يخدع
الأعين ، ويظهر لها الأمور المألوفة في غير أثنائها الطبيعية ، أو يوقع
في النفوس أوهاماً وخيالات تؤثر فيها ، وتوجهها توجيهها خاصاً .
والسحر يظهر في صور متعددة : فقد يكون مهارة تعتمد على خفة
الحركة ، ومغالطة الحواس ، كما يفعل الحواة ، ومحترفو الألعاب
السحرية

أو صناعة علمية أساسها استخدام خواص المادة ، وقوى
العناصر ، فإذا رآها من يجهلها ظنّها سحراً ،

أو تمويهاً قوامه الذكاء وقوة الملاحظة ، كما يفعل كثير من
العرّافين ، وقارئى الكف ، وطارقي الحصى ، وضاربى الرمل ،
ومستنطقى الورق ، وغيرهم ممن يدعون علم الغيب ، وهم إنما
يخبرون الناس بما يتفرسونه فيهم ، ويطالعونه فى أسارىهم ،
ويستتجونه من أقوالهم وما يحيط بهم . وقد يكون إيهاء يفعل فى
النفوس فعله ، ويسيطر عليها بما له من قوة ، ومن ذلك النوع ما
يأتى به كثير ممن يدعون العلم الروحى والاتصال بالشياطين ،
ويتعاطون كتابة الرقى والتعاويذ والتماائم ؛ لدفع أثر العين ، ومس

الجن ، وخلق الحب والكراهة ، وإبراء كثير من العلل ، وهم لم يأتوا بشيء أكثر من استخدام قوة الإحياء والتأثير بها على السُّدَج والأغرار . وبحسبك أن تعرفه مما ساقه أحد العلماء الأمر يَكِين في هذا الصَّدَد ؛ لتدرك أثر الإحياء النفسى ، فقد أخبر تلاميذه بأنه سَيَسْقِيهِمْ سَائِلًا لم يعرفوا عنه شيئاً من قبل ، وأنهم سَيُحْسِنُونَ عَقَبَ تناوله بَغْثِيَّانَ وَدَوَّارَ واضطراب ينتهى بالقىء ، ثم قدم إليهم السائل ، ولم يكن شيئاً سوى الماء ، وبرغم ذلك انتابتهم الأعراض التى حَدَّثَهُمْ بها . وليس بين الناس اليوم من ينكر فعل الإحياء ، أويشك فيه بعد أن أصبح ميداناً من ميادين البحث النفسى ، ووسيلة لعلاج بعض الأمراض وتحقيق كثير من الغايات .

ويقرب من هذا ما يكون فى التنويم المغناطيسى واستحضار الأرواح من تسلط بعض النفوس القوية على غيرها ، والوصول بذلك إلى قراءة الأفكار والكشف عن بعض الخفايا الواقعية التى تحول دونها حجب المادة .

تلك كلها صُور لما يسمى سحراً ، وتأملها ترى أن السحر يباين المعجزة أشد المباينة ، فليس خارقاً للعادة ، ولا خارجاً عن طوق

البشر، وإنما هو أمرٌ يُلَقَّنُ وَيَتَعَلَّمُ ، وله أسباب يمكن إتقانها بالرياضة عليها ، وهو لا يغير حقائق الأشياء أو يخرجها عن السنن الطبيعية لها ، ثم هو قد ينصرف إلى نواحي الشر ومقاصد السوء ، ويتعاطاه الأشرار للاستعانة به على مآربهم الفاسدة .

* * وهناك مارآه وشاهده مئات ألوف البشر من أحوال شيطانية غريبة فى كل زمان ومكان تقع لأولياء الشيطان :

* فَمِنْهُمْ من كان يأتيه بأنواع من الأطعمة والأشربة ،

* ومنهم من يقضى له الشيطان حاجاته ،

* ومنهم من يكلمه بالغيـب ويطلعه على بعض بواطن الأمور

وختفاياها ،

* ومنهم من يمنع نفوذ السلاح إليه ،

* ومنهم من يأتيه الشيطان فى صورة رجل صالح عندما

يستغيث بذلك الصالح لتفريـره ، وتضليله وحمله على الشرك بالله

ومعاصيه ،

* ومنهم من قد يحمله إلى بلد بعيد أو يأتيه بأشخاص أو

حاجات من أما كن بعيدة ، إلى غير ذلك من الأعمال التى تقوى

على فعلها الشياطين ومردة الجن وخبثاؤه .

وتحصل هذه الأحوال الشيطانية نتيجة لخبث روح آدمي بما يتعاطى من ضروب الشر والفساد والكفر والمعاصي البعيدة عن كل حق وخير ، وإيمان وتقوى وصلاح ، حتى يبلغ آدمي درجة من خُبث النفس وشرها يتحد فيها مع أرواح الشياطين المطبوعة على الخبث والشر ، وعندئذ تتم الولاية بينه وبين الشياطين ، فيوحى بعضهم إلى بعض ، ويخدم بعضهم بعضاً ، كل بما يقدر عليه ؛ ولذا يقال لهم يوم القيامة : ﴿يَمَعَشَرُ الْجِنَّ قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ مِّنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِّنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ (١) .

وأما الفرق بين كرامة أولياء الله الربانية وبين الأحوال الشيطانية ، فإنه يظهر في سلوك العبد وحاله ، فإن كان من ذوى الإيمان والتقوى المتمسكين بشريعة الله ظاهراً وباطناً فما يجرى على يديه من خارقة هوكرامة من الله تعالى له ، وإن كان من ذوى الخبث والشر والبعد عن التقوى المنغمسين في ضروب المعاصي

(١) الأنعام - من الآية : ١٢٨ .

المتوغلين فى الكفر والفساد ، فما يجرى على يديه من خارقة إنما هو من جنس الاستدراج أو من خدمة أوليائه من الشياطين له ، ومساعدتهم إياه .

فَلَا حَظَّ كُلِّ هَذَا - أَخَا الْإِسْلَام - حَتَّى تَكُونَ مِنْ أَوْلِيَاءِ الرَّحْمَنِ ، لَا مِنْ أَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ الَّذِينَ نَسَأَلُ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - أَنْ يَعِزَّنَا مِنْ شُرُورِهِمْ وَشُرُورِ شَيَاطِينِهِمْ .. آمِينَ .. آمِينَ .. آمِينَ .

* * وَالْآنَ - أَخَا الْإِسْلَام - وَبَعْدَ أَنْ وَقَفْتَ مَعَى عَلَى كُلِّ تِلْكَ الْأَسَاسِيَّاتِ الَّتِي كَانَ لَا بُدَّ أَنْ تَقِفَ عَلَيْهَا بِالنِّسْبَةِ لِلرَّسْلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِصِفَةِ عَامَةٍ ، وَالرَّسُولُ مُحَمَّدٌ ﷺ بِصِفَةِ خَاصَةٍ :

أُنْتَقِلْ بِكَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الْمَوْضُوعِ الْأَسَاسِيِّ ، وَهُوَ : الْوَاجِبُ وَالْمُسْتَحِيلُ وَالْجَائِزُ فِي حَقِّ الرَّسْلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، فَأَمَّا :

الصفات الواجبة للرسل إجمالاً وتفصيلاً

فإنه يجب للرسل إجمالاً : كل كمال بشرى ، كالعدل ، والحلم ، والصبر ، والشجاعة ، والمروءة ، والكرم ، وحسن الخلق ،

والوفاء بالعهود ، والمحافظة على العقود ، والإحسان ، والصفح ،
وعلو النسب ، وسلامة أبدانهم مما تنبو عنه الأبصار وتنفر منه
الأذواق السليمة .

ويجب لهم تفصيلاً : الصدق ، والأمانة ، والتبليغ ، والفطنة .
واليك توضيح ما يجب لهم تفصيلاً :

١ - الصدق ودليل وجوبه للرسل

الصدق هو : (مطابقة الخبر للواقع) وعلى هذا فإنه : يجب
للرسل الصدق فيما يبلغونه عن الله تعالى وفي جميع أقوالهم ولو
عادية ؛ لأن ما ظهر على أيديهم من المعجزة ، وهى : أمر خلقه الله
تعالى مخالف للعادة مقرون بالتحدى ، أى واقع عند دعوى الرسالة
مع عدم إمكان معارضته بمثله (منزل) منزلة قول الله تعالى :
صدق عبدى فى كل مابلغه عنى . كتظليل الغمام ، وانشقاق
القمر وغيرهما .

والدليل على وجوب الصدق لهم :

أن الله تعالى قد صدقهم بالمعجزات ، فأظهر على أيديهم
خوارق العادات ، وكأنه تعالى يقول - كما عرفنا - صدق عبدى

فيما يبلغ عني ، ولو جاز عليهم الكذب ما صدقهم الله ؛ لأن
تصديق من يجوز عليه الكذب كذب ، والكذب محال على الله
تعالى ، فاستحال عليهم الكذب ، ووجب لهم الصدق ، قال تعالى :
﴿ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ ^(١) . وقال ﴿ وَلَوْ نَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضُ
الْأَقَاوِيلِ ﴾ ^(٢) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ^(٣) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ^(٤) .
وقال : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ^(٥) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ^(٦) ﴾ ^(٧) .

٢ - الأمانة ودليل وجوبها للرسول

ويجب في حقهم : الأمانة ، وهي العصمة التي معناها أن الله
تعالى قد حفظ ظواهرهم وبواطنهم من المعاصي كبيرها وصغيرها ؛
لأن الله تعالى أمرنا بالافتداء بهم في أقوالهم وأفعالهم غير الخاصة
بهم . فقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ ^(١) . وقال : ﴿ .. فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيُّ
الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ

(١) الأحزاب - من الآية : ٢٢ .

(٢) الحاقة : ٤٤ - ٤٦ .

(٣) النجم : الآيتان ٣ و ٤ .

(٤) آل عمران : الآية : ٣١ .

تَهْتَدُونَ ... ﴿ (١) . وقال : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ
النَّبِيَّ الْأَمِينُ ... ﴿ (٢) .

والله سبحانه وتعالى لا يأمر بمعصية ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ
لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٣) .

وهذا معناه أنه لو جازت عليهم خيانة بفعل منهى عنه أو بترك
مأمور به ما أمرنا الله تعالى باتباعهم ؛ لأنه تعالى لا يأمر باتباع
الخائنين .. وهذا دليل على أنه قد استحالت عليهم الخيانة ،
ووجبت لهم الأمانة .

هذا ، وإذا كنا قد عرفنا أنه يجب في حقهم العصمة - أي
الأمانة - فإنه يجب في حقهم كذلك تبليغ كل ما أمروا بتبليغه إلى
الخلق ، قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ
رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ ... ﴿ (٤) - كما سنعرف بعد
بالتفصيل .

(١) الأعراف : من الآية : ١٥٨ .

(٢) الأعراف : من الآية : ١٥٧ .

(٣) الأعراف : من الآية : ٢٨ .

(٤) المائدة : من الآية : ٦٧ .

وإذا كنا قد عرفنا كذلك - قبل ذلك - بأنه يجب في حقهم العصمة من المعاصي كبيرها وصغيرها :

فإنني أحب أن أشير هنا - بعد ذلك - إلى ما سجله صاحب (الدين الخالص) ^(١) في الهامش تعليقاً على هذا ، وهو :

قال في العقد الثمين : إن الله تعالى قد نزههم عن كل وصمة ونقص فهم معصومون عن الصغائر والكبائر قبل النبوة وبعدها على المختار . وما وقع في قصص بعضهم من بعض المفسرين لا يُلتفتُ إليه (فإنما) هو من باب أن للسيد أن يخاطب عبده بما يشاء ، وأن يعاتبه على خلاف الأولى معاتبه غيره على المعصية ، كما قيل : إن حسنات الأبرار سيئات المقربين ، ولا خلاف بين العلماء في عصمتهم عن تعمد الكبائر ، وإنما الخلاف في أن عصمتهم عن ذلك بدليل السمع أو بدليل العقل (فالأول) مذهب أهل السنة (والثاني) قول المعتزلة .

وأما وقوع الصغائر فجوزهُ البعض ، والمحققون من المحدثين لم يجوزوا إلا وقوع الصغائر سهواً .

(١) ج ١ صفحة : ٥٣ .

و أما الكبائر مطلقاً والصغائر عمداً فلا ، وعلى ذلك الكثير .
وقد قرأت كذلك ، حول هذا الموضوع فى (البحوث
الدينية) : أن دليل ثبوت العصمة لهم : أنهم لو خانوا فارتكبوا
المعصية ، لكان للناس العذر فى أن يرتكبوها تبعاً لهم ؛ لأن الله قد
أمر باتباعهم فى كل أقوالهم وأفعالهم إلا فيما ثبت اختصاصهم به ،
فكانه يأمر بالمعصية ، والله لا يأمر بالفحشاء ، تعالى عن ذلك علواً
كبيراً .

ثم إن وقوع الذنوب منهم ينفى الثقة بهم ، ويستوجب
الإعراض عنهم ؛ لأن النبى هو المعلم الأول ، ولن تلقى كلمة
المعلم منفذاً إلى القلوب إلا إذا تمسك بما يدعو إليه ، وكان لغيره
قدوة صالحة .

وكيف يستطيع الرسول أن يجهر بأمره ، ويدعو الناس إلى
اتباعه إذا أخذت عليه هفوة تخدش المروءة ، وتكون موضعاً للطعن
والتعيير ؟!

على أن النبوة أسمى مناصب الخلق وأشرفها ، والله يصطفى
لها من عباده من يشاء ، ويضفى عليه من أنواع الكمال البشرى

مالا غاية وراءه ، وهو أعلم حيث يجعل رسالته ، فلا بد أن يكون الرسول أظهر الناس ، وأكبرهم نفساً ، وأبعدهم عن كل صغيرة وكبيرة من الذنوب .

ولكن الأنبياء ليسوا معصومين من الخطأ والنسيان في غير التشريع الذى يوحيه الله إليهم ؛ لأنهم بشر يجوز عليهم ما يجوز على غيرهم ، ويكفى فى معرفة ذلك أن نسوق لك كلمة (ابن حزم) فى الجزء الرابع من كتابه (المِلَل والنحل) قال :

« إنه قد يقع من الأنبياء السهو من غير قصد ، ويقع منهم أيضاً قصد الشئ يريدون به وجه الله والتقرب منه ، فيوافق خلاف مراد الله تعالى ، إلا أنه تعالى لا يقرهم على شئ من هذين الوجهين أصلاً ، بل ينبههم على ذلك - ولأبدٍ - إثر وقوعه منهم ، ويظهر عز وجل ذلك لعباده ، ويبين لهم » .

وخطوهم فى الأمور المعاشية ، وماليس من التشريع فى شئ لا يَطعن فى عصمتهم كذلك ، وفى هذا يقول عليه الصلاة والسلام فى حديث له :

« إذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر » ويقول
« أنتم أعلم بأمر دنياكم » .

فالأنبياء : معصومون من مقارفة الذنوب صغيرها وكبيرها قبل
النبوة وبعدها ، وكل ما يُنسب إليهم مما يوهم نقصهم أو انحرافهم
يجب أن يُفحص عنه فيرد إن كان باطلاً مُختلفاً ، وإن كان ثابتاً لا
مجال للشك فيه وجب أن يفهم على وجهه الصحيح ، وأن يؤول
بما ينفي الرُّيب عنهم ، ويحفظ عليهم قدسية النبوة وطهرها . ومن
أمثلة ذلك :

* ما جاء به القرآن الكريم خاصاً بيوسف عليه السلام في
قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَّءَاهُ بُرْهٰنَ رَبِّهٖ ۚ ﴾ (١)

وليس في هذا ما يطعن في عصمته عليه السلام متى فهم على
وجهه الذي يليق بجلال النبوة ويسيعه مفهوم اللغة . إن قوله تعالى :
﴿ وَهَمَّ بِهَا ﴾ معناه أنه مال إليها ، بحكم طبيعته البشرية ، ولكنه
تغلب على هذا الميل ، إذ رأى برهان ربه ، وما برهان ربه ؟ إنه هو

(١) يوسف : من الآية ٢٤ .

حكمه على المكلفين باجتناّب المحارم ، وكلُّ ما تمثّل ليوسف من قبح هذه الفعلة ، ودلائل النهى عنها ، وما تجلّى من يقظة ضميره ، وخشيته لله .

ومن هذا ما تحكيه الآية عنه فتقول : ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ ^(١)

وليس فى إحساس يوسف بهذه الخلجات النفسية من حرج ، مادام قد جاهدّها ، وقضى عليها ، بل إن القول بأنّه لم يحس مطلقاً بشيء منها هو الذى يعتبر غير مفهوم ؛ لأنّه بشر له غرائزه ، وله قواه .

وفى ذلك يقول الزمخشريّ فى تفسيره (الكشاف) : « ولم يكن ذلك الميل ، المسمى همّاً لشدته ، لما كان صاحبه ممدوحاً عند الله بالامتناع ؛ لأن استعظام الصبر على الابتلاء حسب عظم الابتلاء وشدته » .

واتّاماً للفائدة إليك - أخا الإسلام - هذه الأقوال الواردة كذلك فى الموضوع الذى قد يكون شاغلاً لكثير من المسلمين

(١) يوسف : من الآية ٢٣ .

الباحثين عن القول الصحيح المناسب - كما عرفنا - لقدسية النبوة:

* ففي القرطبي قرأت ما خلاصته :

قوله : ﴿ وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ ﴾ هي امرأة العزيز ، طلبت منه أن يواقعها ، وأصل المراودة الإرادة والطلب برفق ولين ... ﴿ وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ ﴾ ، يقال : إنها سبعة أبواب ، غلقتها ثم دعتة إلى نفسها ﴿ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ﴾ أى هلم وأقبل وتعال .. ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ﴾ أى أعوذ بالله وأستجير به مما دعوتنى إليه ﴿ إِنَّهُ رَبِّى ﴾ يعنى زوجها ، أى هو سيدى أكرمنى فلا أخونه .. قاله مجاهد وابن إسحاق والسدى . وقال الزجاج : أى إن الله ربى تولأنى بلطفه ، فلا أركب ما حرمه ﴿ إِنَّهُمْ لَا يُفْلِحُ الْظَّالِمُونَ ﴾ وفى الخبر أنها قالت له : يا يوسف ، ما أحسن صورة وجهك ! قال : فى الرِّحْمِ صَوَّرَنى ربى ، قالت : يا يوسف ، ما أحسنَ شعرك ! قال : هو أول شئ يبلى منى فى قبرى ، قالت : يا يوسف ، ما أحسن عينيك ! قال : بهما أنظر إلى ربى . قالت : يا يوسف ، ارفع بصرك فانظر فى وجهى ، قال : إبنى أخاف العمى فى آخرتى . قالت : يا يوسف ، أدنو منك ، وتتباعد عنى ؟ قال :

أريدُ بذلك القرب من ربى . قالت : يا يوسف ، القيطون ^(١) فادخل معى ، قال : القيطون - أى المخدع - لا يسترنى من ربى . قالت : يا يوسف ، فراش الحرير قد فرشته لك ، قم فاقتض حاجتى ، قال : إذن يذهب من الجنة نصيبى ... إلى غير ذلك من كلامها وهو يراجعها ، إلى أن همَّ بها . وقد ذكر بعضهم : ما زال النساء يملن إلى يوسف ميل شهوة حتى نبأه الله فألقى عليه هبة النبوة ، فشغلت هيبتة كل من رآه عن حسنه ... ثم يقول القرطبى باختصار : واختلف العلماء فى همِّه ، ولا خلاف أن همَّها كان بالمعصية ، وأما يوسف فهمَّ بها ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ أى ولكن لما رأى البرهان ما همَّ ، وهذا لوجوب العصمة للأنبياء ، قال الله تعالى : ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ ...

إلى أن يقول : قوله تعالى : ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ والجواب محذوف لعلم السامع ، أى لكان ما كان ، وهذا البرهان غير مذكور فى القرآن ، فروى عن على بن أبى طالب رضى الله

(١) أى المخدع .

عنه أن زليخا قامت إلى صنم مكلل بالدُر والياقوت في زاوية البيت فسترته بثوب ، فقال : ما تصنعين ؟ قالت : أستحي من إلهي هذا أن يراني في هذه الصورة ، فقال يوسف : أنا أولى أن أستحي من الله ، وهذا أحسن ما قيل فيه ؛ لأن فيه إقامة الدليل .

* وقيل : رأى مكتوباً في سقف البيت : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَةَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ (١) .

* وقال ابن عباس : بدت كف مكتوب عليها : ﴿ وَإِنْ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴾ (٢) .

وقال قوم : تذكر عهد الله وميثاقه . وقيل : نودي يا يوسف ، أنت مكتوب في الأنبياء وتعمل عمل السفهاء ؟ !

وقيل : رأى صورة يعقوب على الجدران عاضاً على أناملته يتوعده فسكن ، وخرجت شهوته من أنامله ، قاله قتادة ومجاهد والحسن والضحاك وأبو صالح وسعيد بن جبير .

وروى الأعمش عن مجاهد قال : حلَّ سراويله ، فتمثل له يعقوب ، وقال له : يا يوسف ، فولّى هارباً .

(١) الإسراء : ٣٢ .

(٢) الانفطار : ١٠ .

وروى سفيان عن أبي حصين عن أبي سعيد بن جبير قال :
 مثل له يعقوب ، فضرب صدره فخرجت شهوته من أنامله ، قال
 مجاهد : فولد لكل واحد من أولاد يعقوب اثنا عشر ذكراً إلا
 يوسف لم يولد له إلا غلامان ، ونقص بتلك الشهوة ولده ، وقيل
 غير هذا .

وبالجملة : فذلك البرهان آية من آيات الله أراها الله يوسف
 حتى قوى إيمانه وامتنع عن المعصية . ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ
 السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾ . والسوء الشهوة ، والفحشاء المباشرة وقيل :
 السوء الثناء القبيح ، والفحشاء الزنى - وقيل : السوء خيانة صاحبه ،
 والفحشاء ركوب الفاحشة . وقيل : السوء عقوبة الملك العزيز .
 ﴿إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ :

وقد قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر (المخلصين) بكسر
 اللام ، وتأويلها الذين أخلصوا طاعة الله ، وقرأ الباقر بفتح اللام ،
 وتأويلها : الذين أخلصهم الله لرسالته ، وقد كان يوسف صلى الله
 عليه وسلم بهاتين الصفتين ؛ لأنه كان مخلصاً فى طاعة الله
 تعالى ، ومستخلصاً لرسالة الله تعالى .

* وفى (التفسير الوسيط) جاء حول قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا ... ﴾ : أن المعنى : ولقد همت امرأة العزيز بيوسف عليه السلام تجذبه إلى نفسها ، وتوسعه لوماً على موقفه منها مع أنها هى التى طلبته وراودته ، وأذلت له نفسها ، وهو فى نظرها عبد لها وهى سيدته ، ولكنه همَّ بها يدفعها عن نفسه ، وكاد يضربها لمزيد إصرارها على مخالطته ، لولا أن رأى ضميره برهان ربه يصرفه عن ضربها ؛ لأنها آوته وأكرمه ، ولأنه لو ضربها لادَّعَتْ أنه رَاوَدَهَا ، ولَمَّا امتنعت من إجابته ضربها ، لولا ذلك لضربها وانتقم منها لهذه الجريمة التى دبرتها له وهو منها برىء ومعصوم .

﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ : أى فعلنا مثل ذلك التثبيت بالبرهان مع يوسف - عليه السلام - لنصرف عنه السوء . وهو ضرب من أكرمه وآوته ، ولنصرف عنه الفحشاء التى دعت إليها - وهى المخالطة - إنه من عبادنا الذين أخلصناهم لنا ، وهم آباؤه الذين أخلصهم ونقاهم من شوائب النقص . فقد قال الله تعالى فيهم : ﴿ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا

إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ
بِمَخَالَصَةٍ ذَكَرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ
الْأَخْيَارِ ﴿١﴾ .

وفسرها بعض العلماء بقوله : ولقد همت به المرأة ضرباً -
لأنه أذلها وحطم كبرياءها - وهمُّ بها دفاعاً عن نفسه .

ولكن ما قلناه أولى فإن حبها الشديد وجذبها له من قميصه
يمنع من أنها تفكر فى ضربه ، ولهذا نرجح ما قلناه قبل ذلك .

وقيل : الهمُّ منها عزم وإصرار على المعصية ، ومنه مجرد
خطور بالبال بمقتضى الطبيعة البشرية مع الاعتصام بالتقوى .
وسمى باسم الأول مشاكلة . ويدل لذلك أن الله تعالى مدحه بأنه
من عباده المخلصين . ولا يكون ذلك إلا مع سلامة الإرادة وقوة
الوازع المتمثل فى برهان ربه . وهذا ليس قادحاً فى العصمة . فإنه
تعالى هو العاصم وقد عصمه ببرهانه ، وهو الحجة التى أقامها الله
فى نفسه على التحريم حين المراودة منها له ولجأجتها عليه . وقوة
البرهان وسلطانه على إرادة الأنبياء ينتهيان دائماً إلى العصمة من

(١) ص : ٤٥ - ٤٧ .

دواعي البشرية المحرمة ، ولاشك أن الامتناع مع الخطور بالبال يدل على قوة الوازع وقوة الإرادة أكثر من الامتناع مع عدم وجوده - ومع جودة هذا الرأي فما قلناه أولاً هو أفضل الآراء . وهو ما وفقنا الله له . والله تعالى أعلم .

ثم يقول بعد ذلك في ختام هذا التفسير : وقد ضربنا صفحاً عما سطره بعض المفسرين من القصص الهابطة التي ذكرت في تفسير الآية ، وينبو قلمنا عن تسطيرها .
وختاماً لهذا العرض أورد كذلك :

* ما جاء في (في ظلال القرآن الكريم) للأستاذ الشهيد سيد قطب - رحمه الله تعالى - حيث يقول حول قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِدَّ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَنَ رَبِّهِ﴾

لقد حصر جميع المفسرين القدامى والمحدثين نظرهم في تلك الواقعة الأخيرة . فأما الذين ساروا وراء الإسرائيليات فقد رَوَوْا أساطير كثيرة يصورون فيها يوسف هائج الغريزة مندفعاً شبقاً ، والله يدافعه ببراهين كثيرة فلا يندفع ! صورت له هيئة أبيه يعقوب في سقف المخدع عاضاً على أصبعه بضمه ! وصورت له لوحات كتبت عليها

آيات من القرآن - أى نعم من القرآن ! - تنهى عن مثل هذا المنكر ، وهو لا يرعوى ! حتى أرسل الله جبريل يقول له : أدرك عبدى ، فجاء فضربه فى صدره .. إلى آخر هذه التصورات الأسطورية التى سار وراءها بعض الرواة ، وهى واضحة التلفيق والاختراع !

وأما جمهور المفسرين فسار على أنها همت به همّ الفعل ، وهم بها همّ النفس ، ثم تجلّى له برهان ربه فترك .

وأنكر المرحوم الشيخ رشيد رضا فى تفسير المنار على الجمهور هذا رأى . وقال : إنها همت بضربه نتيجة إباطه وإهانته لها وهى السيدة الآمرة ، وهمّ هو بردّ الاعتداء ، ولكنه أثر الهرب فلحقت به ، وقدّنت قميصه من دبر^(١) .. وتفسير الهم بأنه الضرب ورد الضرب مسألة لادليل عليها فى العبارة ، فهى مجرد رأى لمحاولة البعد بيوسف عن همّ الفعل أو هم الميل إليه فى تلك الواقعة ، وفيه تكلف وإبعاد عن مدلول النص .

أما الذى خطر لى وأنا أراجع النصوص هنا ، وأراجع الظروف التى عاش فيها يوسف ، فى داخل القصر مع هذه المرأة الناضجة

(١) أى من الخلف .

فترة من الزمن طويلة وقبل أن يؤتى الحكم والعلم وبعدهما أوتيها ..
الذى خطر لى أن قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖۤ ؕ وَهَمَّ بِهَا
لَوْلَا أَنَّ رَّعَا بُرْهَانَ رَبِّهٖۤ ؕ﴾ ..

هو نهاية موقف طويل من الإغراء ، بعدما أبى يوسف فى أول
الأمر واستعصم .. وهو تصوير واقعى صادق لحالة النفس البشرية
الصالحة فى المقاومة والضعف ، ثم الاعتصام فى النهاية والنجاة ..
ولكن السياق القرآنى لم يفصل فى تلك المشاعر البشرية المتداخلة
المتعارضة المتغالبة ؛ لأن المنهج القرآنى لا يريد أن يجعل من هذه
اللحظة معرضاً يستغرق أكثر من مساحته المناسبة فى محيط القصة ،
وفى محيط الحياة البشرية المتكاملة كذلك - فذكر طرفى الموقف
بين الاعتصام فى أوله والاعتصام فى نهايته ، ومع الإلمام بلحظة
الضعف بينهما ؛ ليكتمل الصدق والواقعية والجو التنظيف جميعاً .

هذا ما خطر لنا ونحن نواجه النصوص ، ونتصور الظرف . وهو
أقرب إلى الطبيعة البشرية وإلى العصمة النبوية ، وما كان يوسف
سوى بشر . نعم إنه بشر مختار . ومن ثم لم يتجاوز همه الميل
النفسى فى لحظة من اللحظات ، فلما أن رأى برهان ربه الذى

نبض في ضميره وقلبه ، بعد لحظة الضعف الطارئة ، عاد إلى الاعتصام والتأبى .

﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا
الْمُخْلِصِينَ﴾

* * * ومما يوهم ظاهره المساس بعصمة محمد ﷺ قصته مع عبد الله بن أم مكتوم التي يصورها قوله تعالى : ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي ۚ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ۚ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى ۚ فَإِنَّ لَهُ تَصَدَّى ۚ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْكُنَ ۚ وَأَمَّا مَنِ جَاءَكَ يُسَعِّى ۚ وَهُوَ يَخْشَى ۚ فَإِنَّ عَنْهُ لُغْيٌ ۚ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۚ فَنِّ شَاءَ ذِكْرُهُ ۚ﴾

* فقد جاء حول تفسير هذه الآيات أن النبي ﷺ كان يدعو عتبة وشيبة ابني ربيعة ، وأبا جهل ، والوليد بن المغيرة ، وغيرهم من صناديد قريش فأتاه ابن أم مكتوم^(١) الأعمى ، وقال له يا رسول الله : « أقرئني وعلمني مما علمك الله تعالى » ، وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله عليه الصلاة والسلام بالقوم ، فكره رسول الله قطعهُ

(١) وهو عبد الله بن أم مكتوم ، ويقال عمرو بن أم مكتوم

لكلامه ، وأعرض عنه عابساً ، فنزلت الآيات .

وليس فى القصة ما يخل بعصمته عليه السلام ، فإنه لم يعرض عن ابن أم مكتوم قصداً لإساءته ، ولا استصغاراً لشأنه ، وإنما فعل ذلك حرصاً منه على أن يتفرغ لما هو فيه من دعوة أولئك الأشراف ، وتهالكاً على إيمانهم ؛ لأنه كان يرجو أن يسلم بإسلامهم خلق كثير ، ويطمع فى ذبوع أمره إذا انضم هؤلاء إليه ، وكفوا عن مناضلته والكيد له .

وكان النبى - إذن - يبتغى بعمله التقرب إلى ربه ، كان جاداً فى نشر الدعوة مستغرقاً فيما رآه أنفع لها وأجدى عليها ، وأقرب شىء إلى الطبيعة البشرية فى هذه الحالة أن يعبس الإنسان إذا صرفه صارف عما هو بصددّه ، كما فعل ابن أم مكتوم .

ولكن ذلك كان على خلاف مراده تعالى فعاتبه عليه ، ونبهه إليه ، وبين له أن الصواب فى ألا يعرض عن راغب فى المعرفة مهما قل شأنه ، وألا يتصدى لمعرض عن الهداية وإن كان عظيماً ؛ لأن مهمته التبليغ ، وما عليه من شىء فى كفر الناس أو إيمانهم .

قال الثوري : فكان النبي ﷺ بعد ذلك إذا رأى ابن أم مكتوم ييسط له رداءه ويقول : « مرحباً بمن عاتبنى فيه ربي » ، ويقول « هل من حاجة » ، واستخلفه على المدينة مرتين في غزوتين غزاهما ، قال أنس : فرأيت يوم القادسية راكباً وعليه درع ومعه راية سوداء^(١) .

كما روى أنه صلى الله عليه وسلم ما عبس بعد ذلك في وجه فقير قط ، ولا تصدى لغنى .

* * وأستكمل معك - أخا الإسلام - هذا الموضوع في تهذيب شرح الخريدة ، تحت عنوان :

عصمة الأنبياء وردَّ الشُّبْه الواردة عليها

لقد عصم الله تعالى أنبياءه من المعاصي وحفظ ظواهرهم وبواطنهم ، فلا يتركون واجباً ولا يفعلون منهيّاً عنه ، ويدل على أنهم معصومون من المعاصي أمور منها :

(١) أنهم لو أذنبوا لما أمرنا الله باتباعهم .

(٢) أنهم لو أذنبوا لكانوا ظالمين ومانالهم عهد النبوة لقوله تعالى :

(١) راجع المسألة الثالثة حول تفسير الآية في القرطبي .

﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (١) .

(٣) أنهم لو أذنبوا لسقطت هيبتهم من القلوب ونفر الناس عنهم ، فتضيع الفائدة من إرسالهم .

وما ورد من الآيات الموهمة ظاهرها عدم عصمة الأنبياء فمؤول بصرفه عن ظاهره ، وحمله على ما يناسب مقامهم :

أ - من ذلك ما ورد في شأن سيدنا آدم - عليه السلام - مما يوهم أنه عصى ربه كقوله تعالى : ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ (١٢١) ثُمَّ أَجْنَبَهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (٢) فيحمل ما صدر منه على أنه كان قبل النبوة ، فلا ينافي عصمته بعدها ، ويرشد إلى أنه كان قبل النبوة قوله تعالى : ﴿ثُمَّ أَجْنَبَهُ رَبُّهُ﴾ أى ثم جعله نبياً بعد الأكل من الشجرة . ويجوز أن يكون ناسياً للنهي عند الأكل من الشجرة ، فلا معصية ، ويرشد إليه قوله : تعالى : ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ (٣) .

(١) البقرة - من الآية : ١٢٤ .

(٢) سورة طه : آخر الآية ١٢١ ثم الآية : ١٢٢ .

(٣) سورة طه - من الآية : ١١٥ .

ب - ومنه ما ورد في شأن سيدنا إبراهيم - عليه السلام - من قوله تعالى حكاية عنه : ﴿ هَذَا رَبِّي ﴾ ^(١) . مشيراً إلى بعض الكواكب ، فإن ظاهره الشرك إن اعتقد ذلك ، والكذب إن لم يعتقده ، ومنه قوله تعالى : ﴿ .. إِنِّي سَقِيمٌ .. ﴾ ^(٢) حين نظر في النجوم ، فإن ظاهره الكذب ؛ لأنه لم يكن مريضاً وقتئذ ، وقوله : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ ^(٣) مشيراً إلى كبير الأصنام فإن ظاهره الكذب ؛ لأن الذي حطم الأصنام هو سيدنا إبراهيم ، فَيُحْمَلُ قوله : ﴿ هَذَا رَبِّي ﴾ على الفرض والتقدير في معرض إقامة الحجة على بطلان زعم قومه ، وهذا باطل ، فرعمكم باطل . ويحمل قوله : ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ على سقم نفسه وهو الحزن لعدم إيمان قومه ، ويحمل قوله : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ على أنه تعريض بغباوة قومه ؛ لأنهم يعبدون آلهة لا تغني عنهم شيئاً والتعريض ليس كذباً .

ج - ومنه ما ورد في شأن نبينا محمد عليه السلام من نحو

(١) الأنعام - من الآية : ٧٧ .

(٢) الصافات - من الآية : ٨٩ .

(٣) الأنبياء - من الآية : ٦٣ .

قوله تعالى : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ .. ﴾ ^(١) وقوله
 تعالى : ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ .. ﴾ ^(٢)
 وقوله تعالى : ﴿ مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُمِخَّ فِي
 الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ ^(٣)

فيحمل في الآية الأولى على أنه عتاب للنبي ﷺ على ترك
 الأولى في أمر الحرب ؛ لأن النبي ﷺ كان قد أذن لجماعة في
 التخلف عن غزوة تبوك عندما تعللوا بأعذار دون أن يتبين صدقهم .
 ويحمل الذنب في الآية الثانية على ترك الأولى ، وهو ليس
 ذنباً في الحقيقة ، وأطلق عليه ذنب نظراً لمقام النبي ﷺ .

ويحمل في الآية الثالثة على أنه عتاب للنبي ﷺ على ترك
 الأولى ، فقد روى أنه عليه السلام أتى بسبعين أسيراً في غزوة بدر ،
 فيهم العباس عمه ، وعقيل بن أبي طالب ، واستشار أبا بكر فيهم ،
 فقال : قومك وأهلك استبقهم ، فلعل الله تعالى أن يتوب عليهم ،

(١) التوبة - من الآية : ٤٣ .

(٢) سورة الفتح - من الآية : ٢ .

(٣) الأنفال - من الآية : ٦٧ .

وخذ منهم فدية تقوى بها أصحابك ، وقال عمر : كذبوك وأخرجوك من بلدك فاضرب أعناقهم ، وقال سعد بن معاذ : الإثخان فى القتل أحب إلى . فرضى رسول الله ﷺ بالفداء ، فنزلت الآية عتاباً للنبي على ترك الإثخان فى القتل وهو أولى من الفداء ، إلى آخر ما ورد فى شأن بعض الأنبياء ، فيحمل على ما يليق بمقامهم ؛ منعاً للتعارض بين ظاهر الآيات والأدلة القطعية الدالة على عصمتهم .

٣- التبليغ ودليل وجوبه للرسل

فيجب فى حقهم التبليغ ، وهو (توصيل الرسل جميع ما أمرهم الله تعالى بتبليغه إليهم) ، أى أنه يجب على كل مكلف أن يؤمن بأن الرسل عليهم الصلاة والسلام قد بلغوا جميع ما أمرهم الله بتبليغه .

والدليل على وجوب التبليغ للرسل : أن كتمان شىء مما أمروا بتبليغه خيانة ومضيع لفائدة الرسالة ، والخيانة مستحيلة عليهم كما تقدم ، فاستحال عليهم الكتمان ووجب لهم التبليغ .

قال تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۚ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ ۞ ﴾ (١) ، والأمر للوجوب ، وما ثبت له عليه السلام ثبت للرسول ، وقال تعالى : ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ۚ ﴾ (٢) ولا يتم التبشير والإنذار إلا بالتبليغ .

وعن معاوية رضى الله عنه - أن النبي ﷺ قال : « إنما أنا مبلغ والله يهدى ، وإنما أنا قاسم والله يعطى » أخرجه الطبرانى فى الكبير .

٤ - الفطنة ودليل وجوبها للرسول

الفطنة معناها : (ذكاء العقل وحدته وسرعة الإدراك وحضور البديهة وقوة الحجة) .

والدليل على وجوب الفطنة للرسول : أنهم أرسلوا له هداية الخلق وإرشادهم بالأدلة وإقامة الحجج لإثبات ما جاءوا به وإبطال شبه المنكرين وقطع أعذارهم ، ولا يكون ذلك إلا بالفطنة ، فلولم يكونوا فطناء لكانوا عاجزين عن إقامة الحجج وإثبات دعواهم وكان

(١) المائدة - من الآية : ٦٧ .

(٢) النساء - من الآية : ١٦٥ .

إرسالهم عبثاً ، والعبث مستحيل على الله تعالى ، فاستحالت عليهم
 البلادة ، ووجبت لهم الفطانة ، قال تعالى : ﴿ قَالُوا يَنْبُحُ قَدَّ
 جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا ﴾ ^(١) وقال : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا
 إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ .. ﴾ ^(٢) وقال : ﴿ وَجَدَلْهُمْ بِآلَتِي هِيَ
 أَحْسَنُ .. ﴾ ^(٣) ، وأيضاً فالله قد اختارهم لتبليغ شرائعه ، والله
 تعالى لا يختار للتبليغ عنه من يجوز عليه كذب أو خيانة أو كتمان
 أو بلادة .

* * * وأما عن :

المستحيل فى حق الرسل

فإنه يستحيل على الرسل إجمالاً : كل نقص بشرى يخل
 برسالتهم ، أو يؤدى إلى نفرة الناس عنهم ، كالظلم ، والغدر
 وخلف الوعد ، ونقض العهد ، والجور فى الحكم ، والجبن ،
 وقسوة القلب ، والكبرياء ، ودناءة الأصل ، والجنون ، والجذام ،
 والبرص .

(١) هود - من الآية : ٣٢ .

(٢) الأنعام - من الآية : ٨٣ .

(٣) النحل - من الآية : ١٢٥ .

كما يستحيل تفصيلاً أضداد الصفات الواجبة في حقهم ..
أى أنه يستحيل عليهم تفصيلاً : الكذب ، والخيانة ، والكتمان ،
والبلادة .

والدليل على استحالة هذه الأمور على الرسل : أنها نقائص
تخل بالرسالة ، وتضيع فائدتها ، وكل ما يخل بالرسالة يستحيل
على الرسل ، ولأن الصدق والأمانة والتبليغ والفظانة قد ثبت بالأدلة
وجوبها للرسل ، فتكون أضدادها مستحيلة عليهم .

والى هذا يشير صاحب الخريدة فى قوله :

وَصِفَ جَمِيعَ الرُّسُلِ بِالأَمَانَةِ

وَالصِّدْقِ وَالتَّبْلِيغِ وَالفِطَانَةِ

وَيَسْتَحِيلُ ضِدُّهَا عَلَيْهِمْ

وَجَائِزُ كَالْأَكْلِ فِي حَقِّهِمْ

* * وأما عن :